بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

أحكامها، فضائلها، فوائدها

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

أحكامها، فضائلها، فوائدها

جمع وترتيب

عبد الله سراج الدين

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

طبع على نفقة المؤلف وحقوق الطبع محفوظة له

٣٠٠٠ نسخة

الصف التصويري : على أجهزة C.T.T. السويسرية
بدار الفكر بدمشق ص.ب ٩٦٢
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم ، على سيدنا محمد خاتمَ الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا الكتاب مختصر مفيد ، ضمَّنتُه أبحاثاً تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، من حيثُ أحكامُها ، وفضائلُها ، وفوائدُها ، وبعضُ أسرارها ، مع ذكر الأدلة على ذلك من الأحاديث النبويّة ، والآثار المرويّة .

وقد حاولتُ الاقتصار والاختصار رغبةَ النشاط في قراءته ومتابعته ، ومساعدةً للنفوس المؤمنة على تطبيقه .

ولا ريبَ أن أحداً من أُولي العلم مهما حاول أن يحيط بفضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبأسرارها وأنوارها ، فإنه لا يستطيع ذلك ، ولكنْ مالا يُدرَكُ كلُّه لا يُترك كلُّه .

وقد ذكرتُ في هذا المختصر ما يعلِّم الجاهل ، ويذكِّر الغافل ، وينهض بهمة الصالح العامل .

ولعل قارئ هذا الكتاب يذكرني بدعوة صالحة أنتفع بها وينتفع بها ،

ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن دعا لأخيه بظهر الغيب قال المَلَك الموكَّل به : آمين ، ولك بمثله » .

وإنني أسأل الله تعالى القريب المجيب باسمه العظيم الأعظم ، وبنور وجهه الكريم الأكرم ، وبحبِّه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أن يَتغمَدنا ومَن قرأ هذا الكتاب أو نظر فيه : بالرحمة والغفران ، وأن يُفيض علينا وعليه سحائب الإحسان والرضوان ، وأن يكشف الحجب عن البصائر والأبصار ، لنشهد الأسرار ونشاهد الأنوار ، في هذه الدار وفي تلك الدار ، وأن يجعلنا من رُفقاء حبيبنا وشفيعنا وروح أرواحنا السيد المختار ، صلى الله عليه وسلم في دار القرار ، فضلاً من الله تعالى العزيز الغفار . آمين .

حول معاني قوله تعالى

﴿ إن اللهَ وملائكتَه يُصلُّون على النبيِّ ياأيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾

والكلام عن ذلك له وجوه متعددة :

الوجه الأول :

أن هذه الآية الكريمة اشتملتْ على الخبرِ أولاً ، والأمرِ ثانياً :

أما الخبر فإن الله تعالى أخبر عباده في هذه الآية الكريمة بمنزلة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يصلِّي عليه عند المقرَّبين هناك ، وأن الملائكة كلَّهم يصلون عليه ، وما ذاك إلا لفضله صلى الله عليه وسلم عند ربه ، وعلوِّ مقامه وشرف قدره في الملأ الأعلى .

ثم أمر سبحانه أهلَ العالَمِ الأدنى بالصلاة وبالتسليم عليه ، وذلك ليجتمع له الثناء والتكريم والتعظيم من أهل العالمَيْن : العلويّ والدُّنياوي جميعاً ، وقد ابتُدِئَ الخبر بـ ﴿ إن ﴾ لتأكيد الخبر وبيان عِظَمه .

وقد قال بعض أهل التحقيق : إن الآية الكريمة مشتملة على خبرين ، كما اشتمل آخرها على أمرين عظيمين :

أما الخبران :

فالأول : هو الخبر عن جناب ربّ العزة ، وهو الله الكبير المتعال ، بأنه هو يصلّي على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

والخبر الثاني : هو عن ملائكة الله تعالى ، بأنهم يصلون على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

فالتقدير : إن الله يصلّي على النبي ، وإن ملائكته يصلون على النبي ، وسببُ هذا التقدير هو اختلاف حقيقة الصلاتَيْن : صلاةِ الله تعالى ، وصلاةِ ملائكته ، فإن صلاة الملائكة ليست هي كصلاة رب العالمين ، ولا مشابهةَ بينهما .

وأما مَن جعل قوله تعالى : ﴿ يصلون على النبي ﴾ خبراً عن الله وملائكته : فذلك من باب إطلاق المشترك على أفراده المختلِفة ، أو من باب عموم المجاز ، ولكن القول الأول أبلغ ؛ وللناس فيما يفهمون مذاهب .

وعلى كلا التقديرين : فإن الله تعالى يُعلن لعباده كلِّهم فضلَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وشرفَ منزلته وكرامته عنده ، فهو سبحانه يعلن ذلك في الملأ الأعلى ، وينزل هذا الإعلان إلى عالَم السموات ، ثم إلى عالَم الأرض ، فيدوّي هذا الإعلانُ في جميع الأكوان ، وتسجَّل هذه الآيات في صفحات الكائنات ، إعلاماً بأن هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ له شأن عظيم عند رب العرش العظيم .

وذلك أن الله تعالى هو يصلي على هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، تشريفاً له وتكريماً ، وتفضيلاً له وتعظيماً ، وأن ملائكة الله تعالى

يصلون على هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، تشرُّفاً بالصلاة عليه وتبركاً ، وانصباغاً بأنوارها ، وانغماساً في أسرارها .

فها هنا لما سمع أهل الملأ الأدنى بذلك استأنستْ قلوبهم ، وتحركتْ هممهم وعزائمهم ، لنيل شرف الصلاة على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ونيلِ فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، والاقتباسِ من أنوارها ، والامتلاء من أسرارها ، فنادى منهم لسان الحال المعبِّر عن حقيقة ماهم عليه : يارب ائذن لنا أن نتشرّفَ بالصلاة على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي تشرفَت الملائكة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

فجاء النداء الإلهي بقوله تعالى : ﴿ يا ﴾ للتنبيه ، ﴿ أيُّها ﴾ ، بالتأْييه ، وذلك ليكون أقوى في التنبيه ، لتلقي الأمر الذي يَرِدُ بعده ، فقال سبحانه : ﴿ ياأَيُّها الذيْن آمَنوا صَلُّوا عليْه وَسَلِّمُوا تَسْليماً ﴾ فيكون ذلك من باب التشويق ثم التذويق ، والشوق إذا تقدم على الذوق يكون التذوق أكملَ وأقبل ، وأحلى وأعلى عند صاحب الذوق ، جعلنا الله تعالى منهم .

ومن المعلوم عند علماء اللغة العربية أن (يا) هي في الأصل لنداء البعيد ، وأما القريب فينادَى بالهمزة أو بـ (أيْ) ، ولكن (يا) قد ينادى بها القريبَ ، لتنزيله منزلة البعيد ، وذلك :

إما لعلوّ مرتبة المنادي وعظيم قدره ، ومن ذلك نداءُ الحق عباده بـ (يا) .

وإما لعلوِّ مرتبة المنادَى ، ومن ذلك قول العبد : (يارب) .

وإما من باب تنزيل المنادى القريب لغفلته وسهوه منزلة من بَعُد .

وقد كثر النداء في القرآن المجيد بـ ﴿ يـاأيها ﴾ المشتملة على هاء التنبيه ، لأن ما ينادي الله تعالى به عباده من : أوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، هي أمور عظام ، وخطوب جسام ، يجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم إليها ، فاقتضتِ الحالُ أن ينادَوْا بآكد النداء وأبلغه فإن قولك : (يـاأيها الرجل اتق الله تعالى) أقوى وأبلغُ من قولك : (يارجل اتق الله تعالى) قال الله تعالى : ﴿ يـاأيها الذين آمنوا اذكروا الله ﴾ . وقال : ﴿ يـاأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ وقال : ﴿ يـاأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

هذا وإن تعليق النداء على صفةِ الإيمان في قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فيه الحثُّ الشديدُ على امتثال الأمر الوارد بعد النداء ، وأن ذلك هو مقتضى إيمانهم الذي اعتقدوه ، ودينهم الذي التزموه ، فمن ترك هذا الأمر وتخلَّف عنه فقد خَدَش إيمانَه وعرَّضه للخطر ، وهذا نظير قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجُدوا واعبُدوا ربَّكم وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون ﴾ ونظير قوله تعالى : ﴿ يـاأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام ﴾ الآية ، ونظير قوله تعالى : ﴿ يـاأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية ، وفيه تنبيه إلى أن قضية امتثال أمره تعالى في قوله ﴿ صلوا عليه ﴾ هي قضية إيمان ، وليست هي قضيةَ امتنان على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

والخبر في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ جاء

بالجملة الإسمية ، للدلالة على الدوام والاستمرار ، كما هو الأصل في مدلول الجمل الإسمية .

والمعنى : أن صلاة الله تعالى ، وصلاة ملائكته على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هي مستمرة أبداً ، لاتنقطع سرمداً .

وقال بعض المحققين : إن هذه الجملة ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ تفيد الدوام والاستمرار نظراً إلى صدرها ، من حيث إنها جملة اسمية ، وتفيد التجدُّد نظراً إلى عجُزها من حيث إنه جملة فعلية ، فيكون مُفادُها استمرارَ صلاةِ الله تعالى وملائكته على النبي صلى الله عليه وسلم وتجدُّدها وقتاً فوقتاً دون نفاد ولا انقطاع[1] .

والإتيانُ بوصفه صلى الله عليه وسلم دون اسمه في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ هو على خلاف الغالب في إخبار الله تعالى عن أنبيائه على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، فقد جِيءَ بذلك للدلالة على ماخصّ الله تعالى به هذا النبيَّ الكريم صلى الله عليه وسلم من مزيد الفخامة والكرامة ، وعلو المكانة والمقدار ، وأكد ذلك بـ (أل) في قوله تعالى : ﴿ على النبي ﴾ للإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو المعروف الحقيق بوصف النبوة .

وبيان ذلك : أن الله تعالى أخبر عن أنبيائه ورسله ، وناداهم بأسمائهم غالباً :

فقال تعالى لآدم عليه السلام : ﴿ يا آدم اسكُنْ أنت وزوجُك الجنة ﴾ الآية .

---

(١) انظر « تفسير الآلوسي » وغيره .

وقال تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ قيل يانوحُ اهبِطْ بسلام منا وبركات ﴾ الآية .

وقال تعالى للخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ وناديناه أنْ ياإبراهيمُ قد صدَّقتَ الرؤيا ﴾ الآية .

وقال تعالى لموسى الكليم عليه السلام : ﴿ ياموسى أقبلْ ولا تخفْ إنك من الآمنين ﴾ .

وقال تعالى لداود عليه السلام : ﴿ ياداودُ إنا جعلناك خليفةً في الأرض ﴾ الآية .

وقال تعالى لعيسى عليه السلام : ﴿ إذْ قال الله : ياعيسى إني متوفِّيك ورافعُك إليّ ﴾ الآية .

وأما نداؤه سبحانه وتعالى وخطاباته للحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم فلقد جاءت بألقاب المدح والثناء ، وذكره صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة والرسالة :

قال تعالى : ﴿ ياأيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ياأيها الرسول لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارعون في الكفر ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ياأيها المزمِّل ، قمِ الليلَ إلا قليلاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ياأيها المدثرُ ، قُمْ فأنذرْ ﴾ ناداه بذلك ملاطفةً ومؤانسةً .

وهكذا الأخبار الإلهية عنه صلى الله عليه وسلم جاءت بوصف النبوة والرسالة :

قال تعالى : ﴿ لكن الرسولُ والذين معه جاهَدُوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ واعْلموا أن فيكم رسولَ الله ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن أولى الناسِ بإبراهيمَ للَذين اتبعوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا ﴾ الآية .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّون على النبي ﴾ الآية . صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك تفضيلٌ له وتشريف ورفعة لمقامه على غيره صلى الله عليه وسلم .

وقد أتي بأل المعرفة في قوله تعالى ﴿ على النبي ﴾ للتنبيه إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو المعروف الحقيق بهذا الوصف الخاتم لجميع النبوات ، وللإشعار بعلة الحكم ، وذلك أن منصب نبوته صلى الله عليه وسلم هو منصب شريف ، ومقام مُنيف ، لا يعلم خصائص نبوته إلا الذي نبَّأه وأعطاه .

نعم إنها النبوة الفاتحة للنبوات في عالم الأرواح ، وإنها الخاتمة للنبوات في عالم الأشباح ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ . فهذا نص في ختم نبوته صلى الله عليه وسلم .

وأما فاتحة نبوته في عالم الأرواح فقد جاء الدليل على ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي وقال : حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا : يا رسول الله متى وجَبَتْ لك النبوة ؟ قال : « وآدمُ بين

الروح والجسد » . وقد جاء تفسير قول السائل : متى وجبت ؟ في رواية الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال : قلت : يارسول الله متى جُعلت نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد »[1] . فقد أعطاه الله تعالى النبوة وجعله نبياً في عالم الأرواح .

وروى الإمام أحمدُ عن العِرْباض بن ساريةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عِند الله لَخاتمُ النبيين ، وإن آدم عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأتْ في المنام ، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ »[2] .

وأورد من طريق أخرى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني عبدُ الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجَدِل في طينته » ـ فذكر مثله ـ ، وزاد فيه : « إن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأتْ حين وَضَعتْه نوراً أضاءت منه قصور الشام » .

وروى أبو نعيم عن الصُّنَابِحيِّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : يارسول الله متى جُعلتَ نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد » .

وروى ابن سعد من رواية الجعفي عن الشعبي قال : قال رجل : يارسول الله متى استُنْبِئتَ ؟ ـ أي أُعطيتَ النبوة ـ قال : « وآدم بين

---

(١) المسند : ٦٦/٤ و ٣٧٩/٥

(٢) المسند : ١٢٧/٤

الروح والجسد حيث أُخِذ مني الميثاق »[1] .

هذا وإن إضافة الملائكة إليه سبحانه في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته ﴾ هذه الإضافة تشير أولاً : إلى عمومهم واستغراقهم كلهم ، وتشير ثانياً : إلى عظيم قدرهم وشرفهم بإضافتهم إليه سبحانه ، وذلك كلُّه مستلزم لتعظيم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث إن أولئك الملائكة الكرام العظام كلَّهم يصلون على هذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم .

كما أن في هذه الإضافة إشارة إلى كثرتهم ، وتنبيهاً إلى أن الصلاة من هذا الجمع الملائكي الكثير الذي لا يحيط علماً بمنتهاه إلا الله تعالى : تلك الصلاة واصلة إليه صلى الله عليه وسلم على مر الأيام والدهور ، مع تجدُّدها في كل وقت وحين ، وهذا أبلغ في التعظيم ، وأعلى وأرفع في التكريم .

وفي هذا إعلان بعظيم فضل هذا النبي الكريم عند الله تعالى ، وبعلوّ مقامه صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى والأدنى ، وذلك لأن ملائكة الله تعالى كلهم الذين لا يُحصي عدَدهم إلا الله تعالى في السموات وفي الأرض وفي العرش والفرش : كلهم يصلون على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية تبين كثرة الملائكة عليهم السلام فقال تعالى : ﴿ وما يعلم جنودَ ربِّك إلا هو ﴾ ، وفي حديث المعراج المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البيت المعمور : « يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ ثم لا يعودون » .

---

(١) انظر (شرح المواهب) و (لطائف المعارف) وغيرهما .

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني أرى مالا تَرَوْنَ ، وأسمع مالا تسمعون : أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ـ أي امتلأت بالملائكة عليهم السلام لكثرتهم ـ مافيها موضع أربعِ أصابعَ إلا وفيه ملك واضعٌ جبهتَه لله تعالى ساجداً » . وزاد الطبري والطبراني في روايتيهما : « مافي السموات السبع موضعُ قدمٍ ولا شبرٍ ولا كفٌّ إلا وفيه مَلَك قائم أو راكع أو ساجد » .

ثم جاء بعد هذا الخبر العظيم ـ وهو أنه سبحانه وتعالى هو يصلي على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن ملائكته كلهم يصلون عليه صلى الله عليه وسلم ـ جاء الأمر من رب العرش العظيم بالصلاة والتسليم على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا الأمر الذي جاء بذلك : قوةُ التنبيه إلى تأكيد الأمر والتزام القيام بموجَبه ، وعدم التقاعس عنه ، كما دل عليه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ .

كما أن فيه تأكيدَ الأمر بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، حيث جيءَ بالمصدر المؤكَّد ، فقال : ﴿ وسلموا تسليماً ﴾ ليدلَّ على عظيم الأمر بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وتأكيده ، وعلى عظيم شأنه صلى الله عليه وسلم .

ولم يَقرنِ الأمرَ بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بالمصدر ، كما قَرَن الأمر بالتسليم : لأن التأكيد في الآية الكريمة حاصل في كلٍّ من الأمر بالصلاة والأمر بالسلام ، ولكن على وجوه متنوعة في التوكيد ، فإن تصدير الخبر بـ (إن) فيه توكيد ، والإخبار بصلاته سبحانه عليه

صلى الله عليه وسلم وبصلاة ملائكته كلهم عليه صلى الله عليه وسلم فيه تأكيد الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

وذلك لأن العاقل متى سمع هذا الخبر عن الله تعالى وعن ملائكته عرف أن شأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى وملائكته عظيم ، وحينئذ يبادر إلى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وإنْ لم يؤمر صريحاً ، بل يكفيه إشارةً وتلويحاً ، فإذا جاء الأمر بعد ذلك بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لم يحتج إلى تأكيد الأمر ، فلم يَحتجْ فعل الأمر بالصلاة عَلَيْه إلى مصدر مؤكد .

بخلاف الأمر بالتسليم فإنه أُكد بالمصدر ليدل على تقوية الأمر وشدة التنبيه إلى امتثاله ، وبذلك يقوم تأكيد الفعل بالمصدر مقام تكريره ، كما حصل تأكيد الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : في الخبر تلويحاً ، وفي نص الأمر تصريحاً[1] .

الوجه الثاني من الكلام على الآية الكريمة وهو :

الكلام على وجه مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها

إن هذه الآية الكريمة جاءت بعد آياتٍ متعددة بيَّن الله تعالى فيها فضائلَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبيَّن فيها جملةً مما خصَّه الله تعالى به من الأحكام ورفعة المقام ، فجاءت هذه الآية الكريمة بعد تلك الآيات ، لتبيِّن أسباب وجوه الفضائل والخصائص التي خَصَّ الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر التفاسير حول الآية الكريمة .

وبيان ذلك : أن الله تعالى ذكر في أول هذه السورة وهي : سورة الأحزاب ـ منزلة هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمؤمنين ، وأنها أعلى وأعظمُ وأكرمُ من منزلة آبائهم ، وأنه أعزُّ وأحبُّ إليهم من نفوسهم : فقال سبحانه : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجُه أمهاتُهم ﴾ .

فقد أعطى لزوجاتِه الطاهرات منزلةَ أمهات المؤمنين في الحرمة والاحترام ، والمكانة والإعظام والإكرام ، وهذا يدل ضمناً على أنه أبٌ لهم ، ولكن الله تعالى رفع منزلته على منزلة الآباء والأبناء والنفوس فقال : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ، فله مقام الآباء ، وله ماهو فوق مقام الآباء في المحبة والإعظام ، وفوق الأبناء في المحبة والإكرام ، وله مافوق الأنفس في الإيثار والحب ، ذلك لأنه أولى بهم من أنفسهم بَلْهَ الآباء والأبناء .

ثم ذكر سبحانه أَخْذه الميثاق العظيم والإيثار من النبيين عامة ، ومن الرسل أولي العزم خاصة ؛ الذين هم أفضل الرسل ، وأولهم وأفضلهم وإمامهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : ﴿ وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ٱبن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

وقد قدَّم ذكره على أولي العزم ليبيِّن تقدُّمه بأفضليته عليهم ، كما أنه أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين من بابٍ أولى . صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم .

ثم ذكر سبحانه كيف صَدَق الله تعالى وعده لحبيبه صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد ، فأرسل يوم تجمُّعِ الأحزاب لمحاربته ، أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يَرَوْها وهم الملائكة ، وذلك مما أدى إلى انهزام الأحزاب وتفرقهم بعد تعاقدهم وتجمعهم وتحالفهم .

وذكَّر المؤمنين بهذه النعمة التي أكرمهم بها ، نصرةً لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله ﴿ اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتْكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوْها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ . والآيات بعدها .

وفي ذلك بيانٌ نصرةِ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ودفاعِه عنه وكَبْته لأعدائه وردِّهم على أعقابهم خاسئين ؛ فالملائكة الكرام والرياح العظام وما وراء ذلك ، كل أولئك جنودٌ مجنَّدة لنصرة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر سبحانه أن الأسوة الكاملة الحسنة ، والقدوة الفاضلة المثلى ، هي الأسوة في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأنه الأكمل الأفضل ، والأعلم الأمثل ، فحقيقٌ بأن يكون هو الإمامَ العامَّ لجميع الأنام ، فإنه الجامعُ لأصناف الفضائل والكمالات ، صاحب الخُلُق العظيم ، والأدب الكريم ، والمنهج القويم ، والهَدْي المستقيم ، والبرهان القاطع ، والنور الساطع ، فمن تأسَّى به واتبعه مشى على نور مبين ، وهدى ويقين .

قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ ، ولا أحسن من ذلك ولا أكمل . اللهم وفقنا لاتباعه صلى الله عليه وسلم في الأعمال والأقوال والأحوال والأخلاق .